

ندوة

"القدس في الضمير"

عمّان؛ ٣ و ٤ آذار/مارس ٢٠٠٩

مائدة مستديرة : "القدس وآفاق المستقبل"

ورقة عمل

"الوضع الجغرافي والديمقراطي للقدس"

الباحث

د. سلمان أبو ستّة

فلسطين

"ندوة القدس" عمان ٣ و٤ مارس ٢٠٠٩

الوضع الجغرافي والديمغرافي للقدس:

د. سلمان أبو ستة

أيها الأخوة والأخوات سأختصر في مداخلتني على الوضعين الجغرافي والديمغرافي للقدس، وقد غطى الأخوة المشاركون النواحي الأخرى للموضوع.

الجغرافيا والديمغرافيا تعني بكلمات أخرى الأرض والشعب. ومن المعلوم جيداً أن أهداف الصهيونية ثلاثة: هي إستلاب الأرض، وطرد أهلها، ومحو تاريخهم وهويتهم. وهذه الأهداف التي طبقتها إسرائيل، أكثر وضوحاً في القدس عاصمة فلسطين، وأولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والمركز الثقافي، والإداري لفلسطين كلها.

بالطبع بدأ الغزو الصهيوني لفلسطين بشكل واسع بعد وعد بلفور، وإحتلال اللنبي للقدس في ٩ ديسمبر ١٩١٧. تولى "رونالد ستورز" منصب الحاكم العسكري للقدس، فأدخل اللغة العبرية كلغة رسمية، وغير أسماء شوارع القدس، مستعملاً أسماء توراتية، وخلق نوادي ومؤسسات صهيونية، تعاملت مع بريطانية ثقافاً وسياسة، وأصبح المجتمع الإسلامي العربي الغالب عدداً، والمالك للأرض غريباً ومغرباً. وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت البلدة القديمة تضيق بأهلها، فلجأ

الأغنياء منهم الى بناء قصور ريفية خارج السور، ثم تدفق اليهود الى القدس بعد الإنتداب، وبدأوا في بناء مساكن فيما عرف فيما بعد بالقدس الغربية.

إستقوى اليهود ببريطانية الى حدٍ أدى الى ثورة البراق عام ١٩٢٩. فأستدعت بريطانية لجنة دولية من عصبة الأمم، أعضائها سويدي وسويسري وهولندي. وجاء تقرير اللجنة الصادر عام ١٩٣٠ قاطعاً. إذ جاء فيه " إن ملكية الحائط الغربي، من حيث إنه جزء لايتجزء من ساحة الحرم الشريف، يعود الى المسلمين كملكية منفردة مطلقة كجزء من الوقف الإسلامي".

وبلغت الوقاحة باليهود أنهم طلبوا في الأربعينات رئاسة البلدية، فلم تقبل بريطانية. ثم تقدم اليهود بمشروع تقسيم، بحيث تصبح الأحياء في القدس الغربية مدينة يهودية، وتبقى القديمة والأحياء العربية الشرقية مدينة عربية. وقد فشلوا في ذلك أيضاً. وعندما صدر قرار التقسيم المجحف، وهو مجرد توصية، إعتبروا القدس وقراها منطقة مستقلة (corpus separatum). ولذلك حاولت القوات الصهيونية عام ١٩٤٨ فتح ممر بين تل أبيب والقدس، ودارت فيه معارك ضارية، خصوصاً في باب الواد، وبسبب السقوط المفجع للد والرملة، وتمكن الصهاينة من إحتلال الأصبغ الممتد نحو القدس في خط الهدنة.

بعد ٩ أيام فقط من الإحتلال عام ١٩٦٧ نسفت إسرائيل حارة المغاربة، لتنتشئ ساحة واسعة أمام حائط المبكى. وفي الأسبوع التالي هدمت ١٩ داراً أثرية، ودينية، وأصبح عدد المشردين عن بيوتهم ألف شخص. وفي يونية ١٩٦٧ أيضاً أصدرت إسرائيل قرارات برلمانية، وإدارية بضم القدس الشرقية والأراضي المجاورة لها إلى إسرائيل.

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٢٢٥٣ في ٤-٧-١٩٦٧ بعدم الاعتراف بضم القدس لإسرائيل، وبذلك تغير عدد السكان وحدود بلدية القدس منذ الإنتداب الى اليوم على الوجه التالي:

أراضي القدس:-

١- حدود بلدية القدس في عهد الإنتداب حتى ١٩٤٨ : ٢٠،١٣١ دونم منها:

القدس القديمة: ٨٠٠ دونم"كلها عربية عدا ٥ دونم يهودية".

القدس الجديدة: ١٩،٣٣١ دونم منها:

٧،٧٣٢ دونم عربية

٥،٠٤٩ دونم يهودية

٢،٦٧٩ دونم طوائف أخرى

٣،٨٧١ دونم حكومية وخدمات

٢- بعد الغزو الصهيوني عام النكبة ١٩٤٨:

القدس العربية الشرقية"خارج خط الهدنة" ٣،٠٢٠ دونم

القدس المحتلة"الغربية" ١٦،٢٦١ دونم

المناطق الحرام والأمم المتحدة ٨٥٠ دونم

المجموع ٢٠،١٣١ دونم

٣- بعد إحتلال الضفة وغزة عام ١٩٦٧ وضم القدس الى إسرائيل:

القدس الشرقية ٧٠،٤٠٠ دونم "بنيت عليها مستوطنات يهودية"

القدس الغربية ٥٢,٦٠٠ دونم
المجموع (١٩٩٣) ١٢٣,٠٠٠ دونم

سكان القدس

١ - عام التقسيم ١٩٤٧:

	المجموع	يهود	عرب
القدس القديمة	٣٦,٠٠٠	٢,٤٠٠	٣٣,٦٠٠
القدس الجديدة	١٢٨,٥٠٠	٩٧,٠٠٠	٣١,٥٠٠
المجموع (١٩٤٧)	١٦٤,٥٠٠	٩٩,٤٠٠	٦٥,١٠٠
	(%١٠٠)	(%٦٠)	(%٤٠)

٢ - بعد إحتلال القدس وضمها إلى إسرائيل: (القدس الموسعة)

	المجموع	يهود	عرب
القدس الشرقية	٣٦٠,٠٠٠	١٦٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
القدس الغربية	٣٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	—
المجموع (١٩٩٩)	٦٦٠,٠٠٠	٤٦٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
المجموع (٢٠٠٦)	٧٢٦,٦٠٠	٤٧٠,٠٠٠	٢٥٦,٦٠٠
	(%١٠٠)	(%٧٠)	(%٣٠)

وهكذا غيرت إسرائيل حدود بلدية القدس إلى ٦ أضعاف مساحتها في الإنتداب، وبذلك تغير عدد السكان، وحدود بلدية القدس من وضعها أيام الانتداب (خريطة ٧ مراحل حتى الأصفر) الى قسمتها بعد النكبة الى شرقية تابعة للأردن، وغربية تابعة لإسرائيل، ثم وقوعها كلها تحت الإحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧. وتغير حدود وتكبير مساحة القدس ستة أضعاف لتضم سور باهر، الطور، شعفاط، وبيت حنينا. لكن هذا العدوان الإسرائيلي لم يتوقف، فهم الآن يخططون للقدس الكبرى، ويعزلون ما تبقى من القرى الفلسطينية بواسطة حائط الفصل العنصري، الذي يضم القدس ومستوطنات عسيون، أدموميم، وجيفون (خريطة ٥ مراحل). وهذه المستعمرات المضافة يستوطن فيها ٨٨ ألف مستوطن بجانب ١٢٣ ألف في داخل القدس الشرقية ما يصل إلى مجموع ٢١١ ألف مستوطن على أرض فلسطينية مصادرة ضمت الى القدس. ويوجد هذا العدد من المستوطنين في باقي الضفة الغربية مقابل ٢ مليون و ٨٠٠ ألف فلسطيني في الضفة الغربية، ما يعني أن عدد المستوطنين في الضفة الغربية يساوي ٢٠% من السكان. وهذه النسبة تقترب من نسبة عدد اليهود في فلسطين قبل إنتهاء الإنتداب، وإقامة دولة إسرائيل. إن هذا التوسع الشيطاني، ليس المقصود منه فقط إسكان المستوطنيين، بل طرد أهل البلاد، وعزلهم في القرى المجاورة للقدس عن مدينتهم. (خريطة ٥ مراحل) وعلى سبيل المثال: فإن ثمانية قرى في الشمال الشرقي للقدس مثل بيت إكسا، بيت سوريك، بيت إجزا، وبيت دقو، قد عزلت عن القدس بواسطة حائط الفصل العنصري. وفي شمال القدس عزلت أربعة قرى منها بيت حنينا وبيير نبالا عن القدس الأم. وفي شرق القدس عزلت حوالي عشرة قرى عن القدس الأم منها أبو ديس، العيزرية، والرام. وهذا معناه عزل ٢٢ قرية فلسطينية بعدد سكان ٢٢٥ ألف و ٣٠٠ نسمة عن القدس الأم. وبهذا فإن حائط الفصل العنصري يضم ٤% من الضفة الغربية الى القدس بمساحة تصل الى

٢٣٥ كيلومتر مربع (خريطة مرحلة واحدة) أو ضعف المساحة التي ضمت عام ١٩٦٧ أو أربعة وعشرين ضعفاً مساحة القدس الأصلية قبل الغزو الإسرائيلي. والغرض من هذه السياسة إنه لايسمح للفلسطينيين أن يتجاوز عددهم ٣٠% من سكان القدس الكبرى، رغم زيادة نموهم الطبيعي، ورغم هجرة كثير من اليهود من القدس الى تل أبيب. (خريطة ٤ مراحل)

تعتمد سياسة إسرائيل في تهجير الفلسطينيين من القدس على ثلاثة عوامل:-

الأول: سياسة عزلهم في مناطق مسورة.

ثانياً: إنشاء ضواحي يهودية جديدة رخيصة لتشجيع الهجرة.

ثالثاً: منع تطوير الأحياء الفلسطينية لكي تصبح غير قابلة للسكن.

ولكي يتم ذلك، فإن إسرائيل تنشئ طرقاً إلتفافية لخدمة اليهود، (خريطة ٣ مراحل) ولا تخدم الفلسطينيين مثل طريق القدس الشرقية الدائري، ومثل خط السكة الحديد الجديد، وبذلك تخلق مناطق معزولة ومسورة مثل الجيتو يحشر فيها الفلسطينيون خارج القدس. (خريطة) وأيضاً مثل هدم البيوت العربية، لأسباب تحت أعذار تعسفية منها أيضاً الاستيلاء على الأراضي، التي تقع في وجه مشروعات التوسع الصهيوني. (خريطة ٤ مراحل) على أن أهم السياسات الإسرائيلية ذات المغزى الديني، والتاريخي الهائل الذي يمتد على مدى ٢٠٠٠ عام من رسالة المسيح، وعلى مدى ألف وأربعمئة عام من رسالة الإسلام، وهو تهويد القدس العتيقة التي تحتوي على ٢٢٣ معلم ديني وتاريخي هام. (خريطة ٩ مراحل)

بدأت هذه السياسة كما قلنا بهدم حي المغاربة، وتحويله الى ساحة، ثم الإستيلاء على مجموعة بيوت فيما يسمى أحياناً بالحي اليهودي غالبيتها أملاك عربية، وسكن اليهود بالإيجار في زمن الإنتداب، ثم إستولت الآن إسرائيل على مايسمى بالحي اليهودي بأكمله.

الأخطر من هذا أن المستوطنين بدعم مالي يهودي رسمي وشعبي من أمريكا، تمكنوا من شراء عدة منازل في الحي الإسلامي، والحي المسيحي (نفس الخريطة)، بواسطة عقود حقيقية أو مزورة لأشخاص وهميين. كما قامت إسرائيل بتطوير الأنفاق القديمة، لكي تصبح ممراً متصلاً من خارج القدس الى حائط المبكى مباشرة يزوره السياح. ثم تخطط إسرائيل الآن لكي تفتح خطأ مباشراً من إحدى بوابات السور الشمالية والغربية، لتوفير مسالك مباشرة من الخارج الى داخل القدس. (نفس الخريطة) كما إنها تخطط لتوسيع القدس القديمة لجهة الجنوب،(خريطة) تحقيقاً لمعتقدات دينية ليس لها أصل في الحقيقة أو الواقع. ومع هذا كله فإن الإحصاءات، حتى الإسرائيلية منها، تبين أن نسبة الفلسطينيين الى مجموع السكان الذي يصل الآن الى حدود ٣٢% من المجموع ، سيصل الى ٥٠% من مجموع سكان القدس بمقاييسها الحالية عام ٢٠٥٠. (خريطة ٢ مرحلة- آخر خريطة) وهذا بالطبع يفرض أن إسرائيل لن تقترف مذابح جديدة، ولن تطرد عددًا كبيراً من أهالي القدس، ولن تدمر مساكن جديدة، ولن تستمر في سياستها العنصرية الهمجية.

لكن بدلاً من الانتظار لعام ٢٠٥٠ لنصل الى هذه النتيجة، نأمل بقوة المقاومة وصمود الشعب الفلسطيني، وإنكشاف الوجه القبيح لإسرائيل في العالم، وتغيير موازين القوى، أنه لن تكون هناك إسرائيل في عام ٢٠٥٠.

والى أن يأتي هذا الوقت، علينا وأجب يجب الوفاء به، وهو دعم صمود هولاء الصامدين على أرض الرباط، هولاء الذين يفتدون العرب والمسلمين والمسيحيين، بل والإنسانية جمعاء بأرواحهم وحياتهم أمام الغزو الصهيوني البربري، يجب أن ندعم ببناء الإنسان، الذي تحاول إسرائيل تهديمه بالمخدرات، وبناء البيت لكي يثبت المواطن على أرضه، وبناء المدارس لتعليم النشئ وطنيتهم ودينهم، وبناء المستشفيات للجرحى والمرضى. وعموماً تطوير قدرة الشعب الفلسطيني على الصمود والنمو والمواجهة بكل قوته المعنوية والمادية الممكنة. إن هذا الدعم يحول الناس من أفراد مغلوبين على أرضهم، إلى شعب منظم معبئ قادرٍ على الصمود. فالأفراد مثل قادتهم يموتون، ولكن الوطن والشعب يبقيان، وماضٍ حق ورائه مطالب.